مجلة الآداب، م٢٨، ع٢، ص ص١٣٧-١٥٩، جامعة الملك سعود، الرياض ٢٠١٦م/ ١٤٣٧هـ)

دور المرأة الغربية في الحروب الصليبية من خلال كتابات المؤرخين الغربيين

عذاري بنت إبراهيم الشعيبي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل

(قدم للنشر في ١٨/ ١/ ١٤٣٧هـ؛ وقبل في ١٩/ ٨/ ١٤٣٧هـ)

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، دور المرأة الغربية، المؤرخون الصليبيون.

ملخص البحث: أخذت الحملات الصليبية المتجهة نحو الشرق الإسلامي اهتمامًا وعناية من المؤرخين الغربيين والمسلمين على السواء، ولكن قد تخفي تلك المعارك والحملات العسكرية كثيرًا من الأمور والمعلومات المهمة منها؛ دور المرأة الغربية وأثره في تلك الحملات. وبما أن المصادر الإسلامية لم تتناول تناولًا واضحًا ماهية دور المرأة الغربية في الحروب الصليبية وتنوع تلك الأدوار إلا بإشارات يسيرة، فقد جاءت هذه الدراسة بهدف التعرف على وجهة نظر المؤرخين الغربيين في دور المرأة الغربية في الحملات الصليبية، وأهميتها وتنوع الأدوار المتعددة للمرأة الغربية فيها ونتائج تلك المشاركة. وقد عمدت الباحثة لتحقيق هذا الهدف الرجوع إلى الكتب التاريخية الغربية ومصادرها التي تناولت حقبة الحملات الصليبية. ونتيجة لذلك قسمت الباحثة الدراسة إلى عدة أجزاء رئيسة؛ تناولت فيها مكانة المرأة الغربية في كتابات المؤرخين للحملات الصليبية، وبواعث مشاركة المرأة الغربية في الحملات الصليبية، والأدوار التي شاركت بها في تلك الحملات، وختمت الباحثة الدراسة بخلاصة بينتْ فيها أهم نتائجها التي تم التوصل إليها. وإجمالًا، تشير النتائج إلى أن للمرأة في الحملات الصليبية أدوارًا كثيرة ومتعددة الأوجه، تراوحت بين أدوار ذات تأثير واسع، وأدوار فرعية مساندة، إلا أن مشاركتها في الخدمات المساندة كان بصورة أكبر من مشاركتها المباشرة في العمليات القتالية، كما كان لها قرارات مؤثرة على سير الأحداث في بعض الأحداث التاريخية المهمة في تلك الحملات.

المقدمة

رافق الحملات الصليبية المتجهة إلى المشرق الإسلامي اهتمام وعناية من المؤرخين المسلمين والصليبين على السواء، وتناولتها أقلام المؤرخين بكثير من التفاصيل. ورغم التفصيلات الواردة في الروايات الكثيرة والمتعددة حول هذه الحملات التي سطرها المؤرخون بكل اقتدار في مؤلفاتهم، غير أن المتفحص لهذا الزخم المتميز من مصادر المعلومات حولها يجد أن الأضواء لا تتجه إلا على الجوانب العسكرية منها والانتصارات الإسلامية فيها، وهو أمر مفهوم ومقدّر لكون تلك الحملات هدفها الرئيس سياسي أساسًا وإن لبست العباءة الدينية من الغزاة الصليبيين. ويبقى جانب آخر لتلك الحروب لم يأخذ حقه من تسليط الضوء عليه، ولم تتناوله أقلام المؤرخين العرب بشيء من التفصيل ألا وهو طبيعة مشاركة المرأة الغربية النصرانية في تلك الحملات الصليبية. نعم هنالك إشارات عدة في ثنايا تلك التفاصيل تشير إلى تلك المشاركة، غير أن تلك الإشارات لم ترق إلى كشف مكنونات تلك المشاركة ودوافعها وتأثيراتها السياسية والعسكرية على مجريات المعارك الطاحنة من نجاح أو فشل تلك الحملات الصليبية.

هنا في هذه الدراسة، تسعى الباحثة إلى نقل مشاهد الأحداث من صور الحروب والمعارك والدور المؤثر للرجل فيها، إلى مشاهد أخرى ربما يعدُّها بعضهم مشاهد ما خلف الكواليس، والأدوار المساندة، ولكنها تبقى مؤثرة، وقد تكون الأكثر تأثيرًا في أحايين كثيرة. المشاهد هنا في هذه الدراسة تُعرض من خلال أعين المؤرخين الغربيين أنفسهم وأقلامهم ، وذلك لكونهم أقرب إلى الصفوف الخلفية للجيوش الصليبية من المؤرخين العرب الذين بطبيعة الحال أجادوا وأفادوا في نقل المشاهد العسكرية من الصفوف الأمامية من وجهة نظر عسكرية وسياسية إسلامية.

إن التركيز في هذه الدراسة منصب ومتوجه إلى المشاهد الخاصة بدور المرأة الصليبية في تلك الحروب من وجهة نظر بعض المؤرخين الغربيين، وعلى هذا فإن عرض وجهات النظر تلك ليس بالضرورة أن تكون متوافقة مع وجهة نظر الباحثة أو وجهة النظر الخاصة بالمؤرخين المسلمين. وتجتهد الباحثة في هذه الدراسة في عرض وجهات النظر الغربية تلك بصورة محايدة، مع إضافة شروحات وتعليقات الباحثة في المواضع التي تحتاج إلى وجهة نظرها فيها. إن التركيز على وجهات النظر الغربية على مشاركة المرأة النصرانية لا يعني مطلقًا الوثوق بمصادرهم أكثر من المصادر الإسلامية، ولكن هي رؤية غربية لتلك المشاركة من الجيد أن يطَّلع عليها الباحث العربي بشكل محايد، ثم يضمها إلى مجموعة المشاهدات والروايات التي تزخر بها الكتب التاريخية العربية ليكون لديه صورة أكثر تفصيلًا من زوايا عدة وأبعاد متنوعة. علاوة على ذلك، فإن

الباحثة ترى أن المصادر الإسلامية لم تتناول تناولًا واضحًا ماهية دور المرأة الغربية في الحروب الصليبية وتنوع تلك الأدوار إلا بإشارات يسيرة، لذا كان التوجّه لكتب المؤرخين الغربيين للبحث فيها عن دور المرأة الغربية في تلك الحملات الصليبية وأهميتها ونتائج تلك المشاركة، إضافة إلى ما قامت به الباحثة من محاورة مؤرخين غربيين متخصصين في الحروب الصليبية من جامعة ريجينزبورغ الألمانية، محاولة منها لفهم بعض النصوص والمصطلحات الدينية القديمة الواردة في تلك الكتب، لتعمل بعدها على تحليل تلك النصوص وربطها قدر المستطاع بمدى نجاح أو إخفاق تلك الحملات الصليبية.

ومما سبق، قسمت الباحثة مكونات هذه الدراسة إلى عناصر فرعية جميعها تحاول استحثاث التفكير والتأمل في الأدوار المتعددة للمرأة الغربية في الحملات الصليبية بشيء من التوسع والاستقصاء والتحليل، بالإضافة إلى موجز مختصر لمكانة المرأة الغربية في المجتمع الغربي وتفسير غياب ذكرها بشكل أوسع في كتابات المؤرخين خلال تلك الحقبة.

ونتيجة لذلك قسمت الباحثة الدراسة إلى عدة أجزاء رئيسة جاءت كالآتي:

مقدمة عن الحروب الصليبية، المرأة الغربية وأسباب مشاركتها في الحملات الصليبية، مساهمات المرأة العسكرية وغير العسكرية في الحملات، أدوار المرأة الغربية في الحملات الصليبية مقارنة بالرجل، وختمت الدراسة بخلاصة بينت فيها أهم نتائجها التي تم التوصل إليها.

الحروب الصليبية أسبابها وماهيتها

لا يخفى على أحدٍ لا سيما المؤرخين أن هذه الحروب وجهتها أوروبا ضد المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي خاصة لطرد المسلمين من بلاد الشام والقضاء عليهم واسترجاع بيت المقدس منهم بحسب زعمهم (قاسم ، ٢٠٠١م، ص١٠-١٢، عبد الحميد، ١٩٩٨م، ص١٣) . وكعادة مسعّري الحروب، استعمل السياسيون؛ سواءً كانوا في مواقع سياسية أو دينية، الأهداف الدينية لاستقطاب عشرات الآلاف من المشاركين والمحاربين من أجل غفران الذنوب ورضا الرب بحسب زعمهم (قاسم، ٢٠٠١م، ص١٠)، فحمل راياتها الآلاف من المسيحيين المندفعين بكل حماس لاستعادة بيت المقدس. أما التسمية بالحروب الصليبية؛ فتذكر الروايات أنها جاءت من ممارسات المحاربين المنضمين لتلك الحملات من وضعهم لصليب أحمر صغير الحجم على الكتف الأيمن للعباءات والملابس التي يلبسونها لتكون بمثابة الشاهد على قسمهم في حربهم ضد المسلمين (قاسم ، ١٩٩٤م ، ص١٢٩، نقلي، ٢٠٠٢م، ص٢٣٩). كما وشم بعضهم علامة

الصليب على صدورهم بالحديد المحمى بالنار زيادة في إظهار الحماس والرغبة في القتال (نقلي ، ٢٠٠٢م، ص٢٤٠).

التعتيم الإعلامي على مشاركة المرأة الغربية في الحروب الصليبية

على الرغم من الأدوار المتعددة للمرأة الغربية في الحروب الصليبية التي يمكن استشفاف ذلك من خلال روايات الكتب الغربية، إغير أننا بالمجمل نجد تقصيرًا شديدًا في تناول هذه الأدوار وإبرازها بشكلها الحقيقي، وقد يكون السبب لهذا التجاهل الذكوري من الوجود النسائي هو أن مؤرخي الحملات الصليبية في معظمهم ذكورٌ بينوا أن الحروب الصليبية هي نشاط ذكوري بحت (Lambert, 2001, 5). هنا، كما هو الحال في المصادر التاريخية الأخرى،لم يكن يُذكر سلوك النساء في الحملات الصليبية – كقاعدة عامة – على أنه قائم في حد ذاته، بل كانت المرأة تُذكر على سبيل تقديم الدعم للجنود الصليبيين الذكور الأتقياء الذين لا يخافون المعارك (Maier, 2004, 64).

في هذه الروايات، يغلب على دور المرأة إما أن تكون جنديةً، وبذلك تتنازل عن أنوثتها لتقاتل جنبًا إلى جنب مع الرجل في حالات الأزمات، أو أن تؤدي مهامًا داعمة للرجل ليستطيع القتال بكفاءة (Maier, 2004, 64). وفي ميل تلك المصادر لتصوير عمليات الحملات الصليبية كنشاط ذكوري، يعني إهمال أي مساهمة عسكرية ملموسة تقدمها النساء، وقد ذكر أحد المؤرخين أن النساء في الحروب الصليبية لم يحملن لقب خادمات المسيح (Purcell, 1979, 60). وتعلل (Solterer, 1991, 540) لعدم اكتراث المؤرخين الصليبيين في ذلك الوقت بتسليط الضوء على المشاركة النسائية الواسعة في الحملات الصليبية إلا أنه كان يُعتقد أن المجتمع المتحضر المتدين لا تقاتل نساؤه مثل الرجال، وأن النساء أكثر عرضة للإغواء من الشيطان.

هذا التجاهل الشكلي، تناقضه روايات المؤرخين من حصول المرأة على جزء من الغنائم لقاء خدماتها (Nicholson, 2001, 89). هذه القسمة تقدم مؤشرًا مهمًا يدل على الدور المهم الذي لعبته المرأة في تلك الحروب. وقد يكون سبب عدم التركيز على النساء في روايات المؤرخين المعاصرين لتلك الحروب هو تركيزهم على الأعمال العسكرية دون المساندة، وذلك لكون مشاركة المرأة العسكرية المباشرة محدودة نسبيًا إذا ما قورنت بالرجل. ومما يؤيد هذا الرأي، إقرار معظم المؤرخين بدور المرأة في دعم الرجل نفسيًا وتزويده بالماء والغذاء والأعمال الإسعافية، وهو دور لا يتعارض مع معتقداتهم الدينية (Caspi-Reisfeld, 2001, 98).

وهنا يمكن الإشارة إلى ما يرويه بعض المؤرخين الغربيين بإعجاب عن المؤرخين المسلمين الذين لا

يرون بأسًافي ذكر مشاركة المرأة في الأعمال القتالية والعسكرية، بل ويشيرون إلى أن كثيرًا من الروايات التي تصف شجاعة المرأة الصليبية في القتال كانت من جانب المؤرخين المسلمين (Caspi-Reisfeld, 2001, 99)

ويذكر (Caspi-Reisfeld, 2001, 101; Nicolle, 2004, 250) أن هناك عدة عناصر أسهمت في التعتيم على دور المرأة القتالي، يمكن تلخيصها في الآتي: أن مشاركات المرأة القتالية المباشرة محدودة نسبة إلى مشاركة الرجل، كما أن المرأة بطبيعتها لا تشكل مصدر قوة قتالية، وعليه قد يكون سبب عدم ذكر المؤرخين المعاصرين للحروب الصليبية لها بكثرة بسبب اعتقادهم بضعف تأثيرها على سير الأحداث، وربما لأن أفعالها لا تتوافق مع ما يُتوقع من المرأة المسيحية المحتشمة، تمثلًا لعقيدة الكنيسة التي كانت ترى النساء كائنًا أقل درجة من الرجل. كما أن عدم موت أعداد كبيرة من النساء في أثناء تأدية مهامها جعل المؤرخين يقللون من أهمية هذه المشاركة، وأخيرًا نجد حرص المؤرخين الغربيين على إبراز الدافع الديني وإظهار أن السبب وراء خروج غالبية الصليبيات في الحملات التعبد والتكفير عن الذنوب والتقليل من أمر الدوافع العسكرية وذلك حتى لا تقل أهمية المحارب الرجل.

ومع هذا، لم تغب الروايات التاريخية عن قصص البطولات النسائية في تلك الحروب بشكل تام عن كتب التاريخ الغربية؛ فنجد روايات عديدة تصف النساء وهن يتخفين بالزي الموحد للجنود الذي كان يُخفي الاختلافات الجسدية بين الذكر والأنثى، وكيف أسهمت الخوذة في إخفاء شعرها وملامح وجهها، حيث لم تكن تُعرف إلا من شعرها في حال خلعت الخوذة، وهو ما جعل - كما تذكر الروايات - قادة الفرق العسكرية لا يميزون المرأة عن الرجل بين جنودهم (Caspi-Reisfeld, 2001, 96-101). ويذكر (Nicolle, 2004, 251) أن المؤرخين الصليبيين كانوا يكتبون عن المرأة فقط حين تخدم أهدافهم بتعظيم أحد الجنود أو القادة، وأن هذا السلوك التعصبي أسهم في تجاهل كثير من الروايات الموثوقة التي أشارت إلى أن المرأة أثّرت بشكل مباشر على ساحة المعركة وغيرت النتيجة من جيش مهزوم إلى جيش منتصر وذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ومع ذلك كله، فقد كانت صورة المرأة في كتابات المؤرخين خلال الحملات الصليبية تدور غالبًا حول خصائص الشخصية الأنثوية المتمثلة بالضعف والهشاشة وسهولة الانقياد، أما مساهمة المرأة الإيجابية في تلك الحملات فعادة ما كانت تُحجب بهذه الصفات (Caspi-Reisfeld, 2001, 108). هذا الوصف قد يكون مؤشرًا على أن المؤرخين الغربيين الذين نقلوا تلك المشاركة لم يكونوا ينظرون إليها بشكل إيجابي.

التمهيد لمشاركة المرأة في الحروب الصليبية

كانت المشاركة في الحروب الصليبية تخضع لأدوار

محددة بين الجنسين، فكان للمرأة دور مختلف عن الرجل فقد وُضع دور المرأة في إطار الجبهة الداخلية في المقام الأول، أما الرجل فكان دوره قائمًا على الجبهة العسكرية. وصورة هذا الاختلاف بين الأدوار يتشكل في صورة الرجل الصليبي الذي يترك زوجته وأولاده أو عائلته، ويشكل مع غيره من الصليبيين جيشًا تقيًّا يستطيع ترك كل من حوله في سبيل الالتزام بمتطلبات القضية الصليبية. وفي المقابل، عادةً ما يتم تمثيل النساء بأنهن يتغلبن على مشاعر الفراق والحزن وذرف الدموع والحداد التي يشعرن بها خوفًا من خسارة أزواجهن (Evans, 2001, p. 50).

طموح الكنيسة كان كبيرًا لحشد كل المجتمع بطبقاته ومكوناته كافة ليساهم في الحركة الصليبية، فقامت بتوزيع الأدوار كل بحسب وظيفته المعتادة والطبيعية في المجتمع؛ فالرجال المدربون عسكريًا وذوو الخبرة في الحروب، دورهم أن يكونوا جنودًا صليبيين نشطين، أما الرجال والنساء الذين لا يستطيعون لسببٍ أو لآخر الخروج في تلك الحملات، كان عليهم تمويل الصليبيين ماليًا، ومن لا يُسمح لهم بالذهاب من الرجال القادرين، فرضت عليهم الكنيسة تقديم فداء النذر كنوع من المساهمة أيضًا. وعلى الرهبان ورجال الدين دفع الضرائب وأداء الصلاة والدعاء للصليبيين وغير ذلك من الأعمال الدينية، أما من لا يملك أي شيء يقدمه لا ببدنه ولا بعلمه ولا بماله، فكان عليه المشاركة في الصلوات والتبرع بما يستطيعون في صناديق الحملة الصليبية (Maier, 2004, 64).

هذا التوجه العام والحشد الكبير من الكنيسة، جعل الحراك الشعبي يلتهب، وتتحرك مشاعر الجميع للمشاركة، ولهذا فإن النساء لم يكنّ بمعزل من هذا الحراك، بل كنّ في غاية الحماس للمشاركة بأي صورة، ومن بين تلك الصور المشاركة العسكرية في الحملات الصليبية، والدخول في ساحة المعركة وحمل السيف. لذلك عمدت الكنيسة إلى توجيه قادة الجيش لتدريب النساء اللاتي يرغبن بالمشاركة بما يتناسب مع دورهن الأنوثي. وعلى الرغم من أن الفصل بين النساء والرجال ظاهرًا في تدريب كل نوع على أدوار محددة في الحروب، غير أن ذلك كان يتغير وقت الأزمات، فقد أدت المرأة أدوارًا جديدة، وأصبحت مقاتلة كما الرجال (Caspi-Reisfeld, 2001, 102). وبطبيعة الحال، خلال تلك الحملات الصليبية قُتلت العديد من النساء في أثناء المعارك، وبسبب الزي الذي كنّ يرتدينه لم يكن من السهل معرفة أنهن نساء إلا بعد مقتلهن (Gabrieli, 1969, 111).

هذا الجنس الأضعف كما يسميه بعضهم اعتلى الخيول وقاتل بالسيف وأدى دورًا مهمًا في المعركة. ويبدو أن مشاركة المرأة في القتال لم يكن بالأمر الشائع في ذلك العصر، ومما يدل على ذلك ما يرويه Caspi-

(Reisfeld, 2001, 99) من أن المؤرخين المسلمين أشاروا إلى هذه المشاركة بإعجاب ودهشة من وجود النساء في ساحة المعركة وشجاعتهن وقدرتهن على القتال كالرجال وتخفيهن بشكلٍ لم يجعل من السهل التعرف على شخصياتهن الحقيقية إلا بعد رؤية جثثهن .

جعلت الكنيسة مشاركة المرأة في الحروب الصليبية حق من حقوقها ولاسيما إذا ما نذرت أن تشارك فيها، وقد وضعت لمشاركتها شرطًا واحدًا فقط وهو أن يرافقها أحد أفراد أسرتها من الذكور (Brundage, 1967, 243) الذي لم يقتصر دوره على حمايتها فقط، بل منعها من التقرب إلى ذكر آخر بغرض الجنس. حيث كان ينظر إلى المرأة الصليبية نظرة سلبية (Brundage, 1985, 59). وكما قضى التشريع الكنسي بضرورة أخذ المرأة الصليبية المتزوجة موافقة زوجها للمشاركة في الحملات الصليبية، نجده بالمقابل يعطي المرأة الحق في منع زوجها من المشاركة في تلك الحملات. قد يبدو أن هذا القانون، قانون المرافق، يقلص من فرص مشاركة المرأة في الحروب الصليبية، إلا أنه أيضًا أعطاها قوة لتمنع زوجها من الذهاب بدون إذنها (Brundage, 1985, 60).

وعلى الرغم من أن هذا القانون في ظاهره معيق نوعًا ما من مشاركة الرجال أيضًا، غير أنه يبدو من الصعوبة بمكان معرفة مدى واقعية تنفيذه وتأثيره على المشاركة الفعلية للرجال والنساء المتزوجين. ولذلك نجد أن (Brundage, 1985, 62) يؤكد أن الرجال وجدوا سبلًاعدة للذهاب في الحملات رغمًا عن زوجاتهم، بل وجدوا تأييدًا من بعض الرهبان الذين أفتوا بأن حق الزوجة في الاعتراض على ذهاب زوجها في الحملات ليس مشروعًا. ويبدو أن هذه الفتاوى المخالفة لرأي الكنيسة الرسمي لقيت رواجًا إعلاميًا جيدًا، وهذا ما تؤكده الرواية التي ينقلها (Maier, 1994, 65) من انتشار السخط الاجتماعي على النساء اللاتي يحاولن منع أزواجهن من المشاركة في الحملات الصليبية، وهذا قد يشير إلى أن بعض النساء المتزوجات لم يستطعن الإصرار على حقهن في الاعتراض.

وخلاصة ذلك كله، نجد أن القانون الكنسي ضَمِن حق المرأة في المشاركة في الحملات الصليبية، ولكنه أعطى زوجها وأفراد عائلتها الذكور فرصة "السيطرة" عليها بحجة حماية نزاهة وعفة الصليبيين الذكور (Maier, 2004, 62). مشاركة المرأة هذه في الحروب الصليبية فرضت على قادة الجيش أن يضعوا قواعد وتقاليد لضبط عمليات الاختلاط بين الجنسين، هذه الضوابط والقوانين تناقض تناقضًا واضحًا أنماط السلوك والفكر في الأحوال العادية، أي في الأحوال السلمية. وهي تؤثر على الروابط والتفاعلات المتبادلة بين أدوار المرأة والرجل في أوقات الحرب والسلم، وفي ساحة المعركة وعلى الجبهة الداخلية. وينظر لأدوار

الجنسين في المجال العسكري على أنها تؤثر على سلوكياتهما في الحياة اليومية، والعكس صحيح (Higonnet & Higonnet, 1987, 39).

حجم مشاركة المرأة الغربية في الحروب الصليبية

نتيجة للحشد العاطفي الديني الذي قامت به الكنيسة لتسعير الحروب الصليبية وتأجيجها ضد المسلمين، شهدت تلك الحملات مشاركة نسائية واسعة من مختلف الطبقات، فقد رافقت الزوجات أزواجهن، والأمهات أبنائهن، والفتيات آبائهن، والأخوات إخوانهن، بل هناك – وبعد مدة من تراخي الكنيسة في شروطها – قامت بعض النساء بالالتحاق بالحملات بشكل مستقل وبدون أن تكون لهن صلة بأي ذكر، وبالتالي فقد كانت النساء جزءًا مكمّلًا لهذه الحركة الاجتماعية العسكرية.

أما عن حجم مشاركة المرأة الغربية في الحملات الصليبية فيبدو أنه متذبذب للغاية. وكانت تلك المشاركة النسائية في الحملات الصليبية تتراوح بين قلة أو كثرة أعداد النساء فيها، ومما لاشك فيه أن هناك عوامل ساهمت بشكل أو بآخر في حجم مشاركتها: فمثلًا عندما يفرض البابا رسومًا مالية خلال التجهيز للحملات الصليبية على كل من قطع نذرًا ولم يستطع الوفاء بنُذره سواء كان من الأطفال وكبار السن أو المرضى، وذلك بقصد المساهمة بشكل فعال في الحملات الصليبية نجد أن إجراءً كهذا كان يؤثر على تقليص عدد النساء بشكل رئيس. فهو يعني أن النساء وغيرهن من غير المقاتلين قد يضطرون ويُجبرون على الوفاء بنذورهم أو دفع المبالغ المترتبة عليهم مما يؤدي لضعف إمكانياتهم المادية مما يحتم عليهم البقاء في المنزل (Brundage, 1983, 68; Evans, 1998, 224; Maier, 2004, 64). ولهذا نجد أنه مع ازدياد حجم فداء النذور بالأموال كانت تتناقص نسبة مشاركة غير المقاتلين في الحملات الصليبية ومنهم النساء (Maier, 2004, 64) بلا شك.

ومن العوامل التي ساهمت أيضًا في تقليل نسبة المشاركة النسائية في الحروب الصليبية عدم جاهزية النساء البدنية والتدريبية للقتال، هذا العامل لم يؤثر فقط على نسبة مشاركة النساء بل حتى على عامة الرجال ممن ليس له خبرة كافية في القتال. هذا العامل ذكره.(Libertini,1995, 285) وأشار إلى أن التجهيز العسكري الجيد بالمعدات اللازمة للنساء وللعديد من الصليبيين العزّل من الرجال الذين كانوا يشاركون أحيانًا في العمليات العسكرية أدى الى عدم مساهمتهم بفاعلية عسكريًا؛ بل على العكس كانوا يشكلون مشكلة؛ ذلك أن الجيوش الصليبية أصبحت كبيرة وبطيئة جدًا، مما أدى إلى صعوبة السيطرة عليها وصعوبة توفير الغذاء لها. ويبدو أن هذا العامل هو ما أجبر قادة الجيوش الصليبية في نهاية (القرن الثاني عشر

وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين_ نهاية السادس وبداية السابع الهجريين) وذلك بعد إخفاق الحملة الصليبية الثانية (١١٤٨م_٥٤٣هـ) إلى "تبسيط" الجيوش الصليبية لجعلها أكثر فعالية من الناحية العسكرية، مما جعلهم يستبعدون أكبر عدد من غير المقاتلين، لا سيما النساء والأطفال والفقراء وكبار السن (Libertini,1995, 285). لعل هذا التوجه كان ضروريًا وذلك لكونهم وجدوا أن هذه الفئة ستكون عبئًا ثقيلًا على الجيوش الصليبية. هذا التعليل يؤكده (Maier, 2004, 70) باستنتاجه أن هذا الإجراء لم يكن بقصد التحامل على المرأة إلا أنه أثر على حجم مشاركتها.

هذه الأسباب جعلت حجم مشاركة المرأة محدودًا نسبيًا، ولكنها لم تمنعها كليًا من المشاركة في الحملات الصليبية بل على العكس كان هناك حضور نسائي لا بأس به فيها، ويرجع ذلك ربما إلى تأثر المرأة عاطفيًا بالحملة الإعلامية المكثفة التي قادتها الكنيسة لشحن المجتمع نحو المشاركة في الحروب الصليبية. ومما يؤكد ذلك، ما أورده (Rousseau, 2002, 39) من عدم توقع هذا الكم الكبير من الرغبة في المشاركة من النساء بعد إعلان البابا أوربان الثاني[1] الحملة الصليبية الأولى عام (١٠٩٥م_٤٩٢ هـ). وعلى الرغم من مشاركة المرأة الواسعة في الحملة الصليبية الأولى، غير أن المؤرخين الغربيين لم يستطيعوا تحديد الرقم التقريبي لحجم هذه المشاركة، وذلك لكون عدد غير قليل من المخطوطات التاريخية أوصلت الأعداد بأنها تبلغ عشرات الآلاف من النساء (Finucane, 2004, 175-176). ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه، إلا أنه يشير إلى المشاركة الواسعة للمرأة في الحرب الصليبية الأولى على وجه التحديد.

بواعث مشاركة المرأة في الحروب الصليبية

هذا الإقبال الواسع للمشاركة النسائية كانت له دوافع عدة؛ تختلف في النساء باختلاف وضعهن الاجتماعي والديني، فما يصح لبعضهن قد لا يصدق على البعض الآخر، إلا أنه يمكن إجمال تلك الدوافع بحسب الروايات التاريخية في دوافع دينية واجتماعية وسياسية. وأول تلك الدوافع – خاصة على المستوى الشعبي، وفق روايات المؤرخين الغربيين – هو الدافع الديني، حيث تشير الروايات التاريخية إلى أنه أهم

(١) هو من أشهر رهبان فرنسا ولد عام (٤٢٧هـ-١٠٤٢ م) كان شخصية نشيطة همه الاول توحيد الكنائس وحرب الاسلام واخراج المسلمين من بلاد الشام ، ألقى خطبة= = في مدينة كليرمونت بفرنسا عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م ألهب فيها مشاعر المسيحيين ضد المسلمين والحماس لحربهم، فهو من أطلق الحروب ضد المسلمين وأسبغ عليها صفة الصليبية ، كما أسبغ العطايا والمميزات لمن يشترك فيها فكل من يشترك بالحرب تغفر ذنوبه وتتولى الكنيسة حمايته. (Matthew, 1992, p 28).

أسباب الالتحاق بالحملات الصليبية للمشاركين ذكراً كان أم أنثى (Tyerman, 1992, 16).

إن الدافع الديني هو أقوى الدوافع الباعثة لمشاركة المرأة على وجه التحديد إذ إن مشاركتها تعني تعرضها للصعوبات والمخاطر المترتبة على مرافقة المرأة للجيوش الصليبية المتوجهة نحو الأرض المقدسة في بلاد المشرق كخطر الموت في الحرب أو استعدادها لتحمل الأَسْر والفقر. يذكر (Schmidt , 1986, 467) أنه على الرغم من المعاناة الكبيرة التي واجهتها المرأة الصليبية في المشاركة في تلك الحروب إلا أنها كانت تعدّها مفيدة لها، إذ عدّتها نوعًا من "اتّباع المسيح"، وهذا مبدأ مهم في العقيدة المسيحية الصليبية: "أخذت الصليب، لتتبع السيد المسيح كمسيحية مؤمنة" (Rousseau, 2002, 35). بهذا الزخم الديني العظيم، صورت الكنيسة المشاركة في الحرب الصليبية كمهمة ربانية من باب أن كل الناس عبيد للمسيح، وأن المشاركة في الحملة الصليبية تعبر بصفاء عن خدمة للمسيح (Rousseau, 2002, 32-34; Schmidt, 1986, 474). وهذا يدل على الاستغلال السياسي للعامة والسذج برفع الشعارات الدينية الحماسية التي تستحث همم المجتمع المسيحي.

ولتعزيز الدوافع الدينية لجمع أكبر قدر ممكن من الحشود للمشاركة في هذه الحروب، أصدرت الكنيسة فتاوى بأن من يشارك في الحملات العسكرية الصليبية يتحقق له "الخلاص"، فقد صورت له بأن الحملة الصليبية هي جيش الإله، والمشاركة فيه وسيلة للتواصل معه، وهو ما يضمن لهم التحرر من الخطايا والعقاب الإلهي في الدنيا والآخرة (Rousseau, 2002, 32-34). ولتحصيل هذا الفضل العظيم، كما تصوره لهم الكنيسة، ليس بالضرورة المشاركة في النشاط العسكري، وإنما أي مهمة تخدم وتدعم الجيش (Caspi-Reisfeld, 2001, 101). وبذلك تصبح مشاركة المرأة في هذه الحملة مهما كان دورها مشاركة تحركها دوافع دينية في الأغلب.

وقد حرصت كتب المؤرخين الغربيين على تأكيد أن هذه الحملات لم تكن مجرد عمليات عسكرية جماعية مثل أي حرب أخرى، بل كان فيها العنصر الديني والإخلاص للإله، وهذا يعني أن نية الفرد الصليبي – رجلًا كان أو أنثى- في عبادة الإله جاءت بشكل جيوش صليبية ولكنها لم تكن موجهة بالضرورة نحو نجاح الحروب الصليبية؛ إذ إن مجرد المشاركة كهدف أساس للجندي الصليبي هو خلاص روحه، ولهذا فخدمته فيها تؤهله ليستفيد من نعم الإله وعطاياه (Riley-Smith, 2002, 23). هذا الباعث الديني للمشاركة يمكن أن يكون حقيقيًا في الحملة الصليبية الأولى، أما في الحملات الصليبية التالية فيبدو أن الصورة اتضحت لعامة الناس، فكانت الأطماع المادية والهيمنة الاقتصادية والسياسية هي وراء تلك

الحملات الصليبية وحروبهم ضد المشرق، وما كان لتحول مناطق الصراع من فلسطين إلى مصر إلا دليلًا واضحًا على الدوافع المتعددة غير الدينية لتلك الحملات.

وهناك دافع آخر لمشاركة المرأة في الحملات الصليبية ذكره المؤرخون الغربيون يتمحور حول الرغبة في المساهمة في السيطرة السياسية وتأسيس الحكم المسيحي في الشام والأراضي المقدسة. وقد يكون من حمل هذا الدافع من النساء أولئك اللاتي كن يتبوأن مواضع سياسية مهمة في الممالك النصرانية (Cole, (1991, 23. هذا الدافع قد يكون من أهم الأسباب وأقوها ارتبطًا بالحملات ما بعد الأولى وسيطر على أهدافها بغض النظر عمن يقود تلك الحملات أو يوجهها أو يؤثر فيها سواء ذكرًا كان أم أنثى.

ويبرز في ثنايا الروايات الغربية للحملات الصليبية دافع آخر يتمثل في الجانب الاجتماعي. ويظهر ذلك جليًا في رواياتهم المتكررة عن رغبة المرأة المتزوجة لمرافقة زوجها في رحلته من أجل قضاء العمر معًا في الديار المقدسة والاستيطان بعد النصر، وأحيانًا أخرى إصرار الزوج على مرافقة الزوجة له من أجل التمتع بخدمتها له طوال الرحلة، أو ربما يحدث ذلك بالإكراه أو الإقناع من أحد الطرفين للآخر (Maier, 2004, 64). كل هذه الأسباب الاجتماعية تبدو منطقية إذا ما أخذنا في الاعتبار طول حقبة الحملات والمسافة الجغرافية البعيدة، ولاسيما تلك التي كانت متوجهة إلى بلاد الشام ومصر، التي قد تستمر لشهور إن لم يكن سنوات، مما جعل الأزواج والزوجات، وكذلك الملوك والملكات يذهبون إلى الحملات معًا (Kedar, 1972, 272; Riley-Smith, 1998, 107). ومن الواضح أن هذا العامل الاجتماعي أعطى الحملات الصليبية روح التحرك المجتمعي، ومن ثَم زاد احتمال مشاركة النساء فيها.

مساهمات المرأة غير العسكرية في الحروب الصليبية

يتضح لنا من كتابات المؤرخين الغربيين أن أغلب المشاركين الفاعلين في الحملات الصليبية العسكرية هم رجال في المقام الأول، أما المرأة فكانت مسؤولة عن الجبهة الداخلية داخل الجيش (Rousseau, 2002, 37-39).

لقد كانت الجبهة الداخلية متعددة الأدوار والمهمات، فكان للمرأة مجالات رئيسة ساهمت فيها بحيوية في دعم تلك الحملات كالصلاة والدعاء وما يكون في ساحات القتال كالتحضير للحملات العسكرية وتمويلها ودعمها، أو في البيت في أثناء المعارك برعاية الأسرة والممتلكات (Riley-Smith, 2002, 109; Tyerman, 1992, 19). وفيما يلي صور من ذلك:

الدعم المادي وتمويل الحملات الصليبية: وهو من أبرز أدوار المرأة خلال الحملات الصليبية فكان التجنيد والتمويل فُرصًا حقيقيةً للمرأة قدمت من خلالها دعمًا كبيرًا للحملات الصليبية، فمنذ بداية الحملات الصليبية كانت المرأة تدفع إعانات مالية منتظمة وتدفع النذر المترتب عليها دعمًا للحروب الصليبية على الجبهة الداخلية (Maier, 2004, 68). ويبدو أن أموال النذور كانت كبيرة جدًا في مجموعها العام؛ لأنها تؤخذ من عامة الناس وهم كثر، لذلك نجد أن المؤرخ (Maier, 1994, 54) يذكر أن من وجهة نظر الكنيسة كانت الأموال المدفوعة فداءً للنذور من أفضل مصادر الأموال في الخزينة وذلك لتوفرها دائمًا، فدعاة الحرب الصليبية كانوا يجمعون الأموال مباشرة من عامة الناس ولاسيما النساء. وهو ما أكده أيضًا المؤرخ (Smith, 2002, 129) حيث ذكر بأن المرأة كانت تشارك أحيانًا في دفع نفقات زوجها أو أفراد أسرتها الآخرين من الذكور ليتجهزوا للحروب الصليبية، وكانت المرأة التي تملك أموالًا من مهرها أو إرثها تقدم مساهمة مالية مستقلة لتغطية التكاليف الباهظة للحروب. بل أبعد من ذلك، كانت النساء يعمدن إلى بيع أو رهن ممتلكاتهن من أجل توفير السيولة المالية لتجهيز الرجال من أسرهن وأقاربهن (Riley-Smith, 1998, 130-135). كما قدم (Tyerman, 1996, 209-11) عددًا من الحالات لصليبيين إنجليز تجهزوا للحرب من مهور زوجاتهم وكان ذلك في القرنين (١٢ و١٣ م _٦ و٧ هـ).

الحشد الإعلامي والتشجيع المعنوي: لعل هذا النوع من المشاركة يعد الأكثر تأثيراً في الحملات الصليبية في قلوب عامة الناس بعد تأثير الفتاوى الكنسية، وقد أوردتْ كثيرٌ من المصادر التاريخية الغربية من العصور الوسطى[٢] روايات عدة حول حجم التأثير الذي قدمته النساء في تجنيد المشاركين في الحملات الصليبية (Maier, 2004, 79). ومن تلك الروايات ما قامت به إحدى النساء التي تنتمي لعائلة نبيلة في فرنسا من حشد الرأي العام وتمويل حملتين صليبيتين ونصبت على تلك الحملتين اثنين من أعمامها (عام ١١٤٧م – ٥٤١هـ) Riley-Smith, 1998, 129-30). ورواية أخرى تثمن – عاليًا – الدور الذي قامت به زوجة الملك لويس السابع ملك فرنسا[٣] الذي

(٢) تطلق على الفترة ما بين ٨٠٠ - ١٥٢١م التي اتسمت بكثرة الحروب الأهلية، بين البابوية والإمبراطورية و كانت بداية الحروب الصليبية، و فتح المسلمين للقسطنطينية عام ١٤٥٣م. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٢٠ هـ).

(٣) Eleanor of Aquitine هي إليناور آكيتيان كانت تعتبر اقوى واشهر واغنى امرأة في اوروبا في العصور الوسطى حيث انها ورثت كمية لا تصدق من الاموال والمقتنيات الثمينة ، وهي تعد من اهم ست نساء في التاريخ الاوربي ، ولدت عام (١١٢٢م) بفرنسا وماتت بها عام (١٢٠٤م). (Kelly, 1991)

شارك في الحملة الصليبية الثانية؛ إذ إنها ساهمت بتجنيد العديد من الصليبيين في أثناء جولاتها في وطنها في المدة التي سبقت الحملة (Pernoud, 1965, 96-100).

ولم يقتصر الدعم المعنوي والتشجيع في تجييش الجيوش قبل بدء الحملات العسكرية فحسب، بل أسهمت المرأة أيضًا في رفع معنويات الجنود في أثناء المعارك ذاتها؛ ومن ذلك ما رواه (Nicholson, 2001, 340) من وجود النساء ذوات الطبقات الارستقراطية العليا بين الجند في المعارك ترفع من معنوياتهم وتحثهم على القتال، بل وتزج نفسها في ساحة المعركة مترجلة عن فرسها، مما دفع ٥٠٠ من المقاتلين الصليبيين من الترجل عن أحصنتهم وخوض المعركة وهم يحيطون بها وهي تتقدم نحو الأمام. مثال آخر، في أثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط في مصر التي قادها لويس التاسع عام (٦١٥هـ_١٢١٩م)، يروي أحد المؤرخين ما قامت به النساء من بث روح التفاؤل وإطلاق الصيحات وإرسال الاستغاثات وذلك بعد أسر المسلمين قائد الصليبيين (Oliver of Paderborn, 1948, 38; Joinville, Villehardouin, & Shaw, 2009, 233).

ويدخل من ضمن الدعم والتشجيع المعنوي ما تقوم به المرأة من تشجيع لزوجها أو أقاربها للانضمام للحملات الصليبية، فكانت المرأة تحتفل في أثناء رحيل زوجها أو ابنها أو أخيها للمشاركة في تلك الحملات، ويتضح لنا هذا الدعم حين نعلم أن المرأة في الحملات الصليبية كانت تستطيع نظريًا الاعتراض على قرار زوجها بالذهاب في الحملات الصليبية (Riley-Smith, 1998, 140)، غير أنها لم تكن تعيق تجنيد الصليبيين، بل على العكس كانت تشجع زوجها وأقاربها للوفاء بنذر الحروب الصليبية (Riley-Smith, 1998, 98-103). وفي السياق نفسه ينقل (Powell, 1992, 294-7) أن مجموعات كبيرة من النساء من مدينة جنوة الإيطالية وفرنسا في أوائل (القرن الثالث عشر الميلادي _ السابع الهجري) في العام (١٢١٦ م – ٦١٢هـ) أقنعن أزواجهن بأخذ الصليب والنذر للمشاركة في الحملة الصليبية. ولم يكن دورهن فقط في التشجيع والحث على المشاركة، بل تعدى ذلك إلى منع أزواجهن من الانشقاق والتمرد على تلك الحملات كما حدث في الحملة الصليبية الأولى في أنطاكية عندما استطاعت زوجة أحد القادة المهمين من العدول عن قرار الانشقاق واستكمال رحلته إلى الشرق مع جنده (Vitalis, 1981, 324).

الدعم العسكري المساند: والمقصود به قيام المرأة بأدوار مساندة في وسط المعركة وفي أثناء الحروب، ففي ساحات القتال على سبيل المثال كانت المرأة الصليبية تجهز المقاليع للرجال في ساحة المعركة، وتقاتل في الأزمات حين يكون عدد الذكور غير كافٍ، كما كانت تقوم بتجهيز الطعام وتقديمه، وجلب المياه لهم في ساحة القتال، وهو أمر بالغ الأهمية ولاسيما في مناخ

الشرق الحار (Caspi-Reisfeld, 2001, 97; Mazeika, 1998, 229-30; Nicholson, 2001, 337). هذا الدعم النسائي بتزويد المقاتلين بالماء والذخيرة (الحجارة) يعده (Peters, 1971; 241) أحد أسباب انتصار الصليبيين في بعض معارك الحملات الصليبية كحصار يافا (عام ١١٢٣م -٥١٧هـ).

ومن الأوجه الأخرى للدعم العسكري المساند؛ ما قامت به المرأة الصليبية من المساعدة في تعبئة الخنادق - التي كانت تحيط بالمدن المحصنة التي كان ينوي الصليبيون اجتياحها - بالماء، وذلك لتسهيل وصول الجنود إلى جدرانها. وقد سجل المؤرخون حادثة وفاة لامرأة كانت تعمل على خندق مدينة عكا، وقد وصَّت أن تُدفن في ذات الخندق (Nicholson, 2001, 106). هذا النوع من الدعم (الماء ودخول ساحة المعركة) كان دائمًا حاضرًا في الحملات الصليبية على بلاد المسلمين (Oliver of Paderborn, 1948, 56). ونجد هذا الوصف كثيرًا في كتب التاريخ عند ذكر تلك الحقبة وتناول أهم أدوار النساء الصليبيات المشاركات في القتال في أثناء الحصار (Caspi-Reisfeld, 2001, 97; Mazeika, 1998, 229-34; Nicholson, 2001, 337-344).

القيام بمهمات الخدمة والبغاء: وهي أدوار بسيطة كانت تقوم بها النساء لراحة الجنود؛ فقد صُنفت النساء اللواتي كن يرافقن معسكرات الجيوش إلى مجموعات مختلفة تقدم كل منها خدمات محددة للصليبيين الذكور مثل: الطاهيات (Caspi-Reisfeld, 2001, 96; Nicholson, 2001, 337)، وعاملات الغسيل والنظافة، ومن مهام هذه الفئة من النساء أيضاً إزالة القمل من رؤوس أفراد الجيش، وهذه مهمة تتطلب أن تكون المرأة غير جذابة بالنسبة للرجل (Caspi-Reisfeld, 2001, 102).

ولعل أغرب التناقضات الدينية والأخلاقية في هذه الحملات هو اصطحاب مومسات يرافقن رؤساء الفرق العسكرية لرفع روحهم المعنوية وحثهم على النصر في الحروب على الرغم من أن الشعار المرفوع لهذه الحملات هو شعار ديني مقدس صرف. يذكر (Goitein, 1964, 743) على الرغم من ثبوت وجود المومسات برفقة الحملات الصليبية غير أن هذا الأمر لم يحظ بتغطية واسعة من المؤرخين، بل يُذكرن فقط كأحد أسباب الهزيمة وإخفاق الحملة، أما في حالات الانتصارات فيتم تجنب الحديث عنهن. إن وجود المومسات برفقة الجيوش وخاصة القادة منهم أكده أيضًا (Nicholson, 2001, 107).

لم يكن المؤرخون الغربيون ينظرون إلى هذا النوع من الخدمات الخاصة بالنظافة والغسيل وإشباع الشهوة الجنسية بإيجابية، ولاسيما الدعارة، وكان يتم تصويرها بأنها تهديد للأعراف الجنسية القويمة، ولنذر العفة، وللصحة الروحية عند الرجال في الحملات الصليبية بسبب الإثم المرافق لها، وكثيرًا ما كانت تُدان

بوصفها تهدد نجاح الحملات العسكرية للصليبيين (Brundage, 1985, 69; Tyerman, 1996, 62-3) .

ويبدو أن حقيقة عدم نجاح معظم الحملات الصليبية، حمل المؤرخين التابعين للكنيسة في العصور الوسطى على البحث عن مسوغات لعدم نجاحها. وقد كانت النشاطات الجنسية غير المشروعة داخل الجيوش الصليبية واحدةً من أهم المبررات التي استُعملتْ من قبلهم لتسويغ تلك الهزائم. يذكر كل من (Brundage, 1985, 70; Finucane, 2004, 179-80) أن المؤرخين المعاصرين للحملات الصليبية والتابعين للكنيسة صبوا كامل سخطهم على النساء المرافقات غير المتزوجات؛ إذ أشاروا إلى أنهن تسببن في سخط الإله على الجيوش الصليبية، ومن ثَم أدت إلى إخفاقها عسكريًا.

الدعم الديني والروحي: أورد المؤرخون الغربيون دورًا آخر للمرأة في دعم الحملات الصليبية ويتمثل ذلك في الصلاة والدعاء لإنجاح تلك الحملات وحفظ أرواح المقاتلين (Rousseau, 2002, 31).

الدور العسكري الهجومي: على الرغم من أنه يمكن عدّ كثيرًا من المهام السابقة ولاسيما المساندة منها أعمالاً عسكرية، غير أن المشاركة القتالية المباشرة للمرأة تظل مثار الجدل الأول بين المصادر التاريخية حول دورها في تلك الحملات. الجدل حول حجم المشاركة لا حقيقة المشاركة في القتال الدائر بين الصليبيين والجيش الإسلامي (Schmidt, 1986, 482).

وسواءً كان هذا الدور كبيرًا أم صغيرًا إلا أنه كان مؤثرًا بلا شك، والسمة الظاهرة فيه إجمالًا أنه كان متأرجحًا بين الازدهار والانحسار. ولعل السبب في ذلك يكمن في عدة نقاط منها: أنه قد حصل تغير في طريقة تدريب الجنود في أثناء الحملات الصليبية، فحروب القرون الوسطى في جوهرها تقوم على النظام الإقطاعي أو المملكات الصغرى، مما يعني أن التدريب العسكري أو تجنيد المحاربين فقد كان الجنود يتدربون داخل مملكاتهم، بل أحيانًا في المنزل وعلى مرأى الإناث، وهو ما أعطاهن فرصة أكبر للإلمام بجوانب الحرب مما كان عليه الحال في مرحلة ما بعد القرن (الرابع عشر ميلادي _ التاسع هجري) في أوروبا، حين أصبحت الحروب تحتاج تدريبًا احترافيًا وتقنية على مستوى أعلى، مما قلل من فرصة تجربة النساء لتكتيكات الحروب (McLaughlin, 1990, 202-5). لقد كان من المتعارف عليه في تلك القرون بأن يخرج الجنود في معسكرات تدريبية خارج بلادهم، في أماكن مكرسة لتدريبهم لاجتياح مناطق الشرق (Muntaner, 2000, 311).

ومساهمة المرأة العسكرية اتخذت نوعين مختلفين لمشاركتها: النوع الأول وهو أن تكون ضمن الجيش الصليبي عند هجومه على المسلمين بصور متعددة: كالمشاركة في القتال، أو الحصار، أو قتل الأسرى، ومن تلك الصور أنه في أعقاب معركة حطين عام (١١٨٧م- ٥٨٣هـ) وفي أثناء الحصار الذي استمر

١٥ يومًا، خاضت بعض النساء حروبًا عدة مع المدافعين عن أسوار المدينة، كما أصيب بعضهن في أثناء هذا الهجوم (Schmidt, 1986, 478). يبدو أن حروب الحصار هي الأكثر مناسبة لمشاركة المرأة القتالية المباشرة (Contamine, 1986, 135)، وذلك لطبيعة الحصار لأي مدينة محصنة الذي يتطلب منع دخول أو خروج أي أشخاص أو مواد منها، والنجاح في ذلك مرهون بعدد فارضي الحصار ومدى صبرهم ومعرفتهم بالمناطق المحيطة وسكانها. ومن الطبيعي أنه كلما زاد عدد المحاصرين كانت فرصتهم بالنجاح أكبر، وقد ساهمت النساء في زيادة عدد فارضي الحصار.

وفي هذه الحملة نفسها (حملة اجتياح دمياط) إشارة أخرى لأهمية مشاركة المرأة في الحملات الصليبية؛ إذ إن الجنود الصليبيين جاؤوا من البحر إلى الشاطئ المصري، وهو ما حدّ من أعداد الجيش الصليبي – بعكس النقل البري – ، وحيث سمح للنساء بالمشاركة في هذه الحملة مع محدودية الأعداد، وكان من الممكن استبدالهن بمقاتلين رجال أشداء، فهذا يدل على أن النساء كنّ مكونًا رئيسًا من مكونات الجيش الصليبي، وأن مساهمتهن في الحرب كانت لا غنى عنها ولم يكنّ يعملن فقط في المهمات المساندة كغسل الملابس أو غيرها (Caspi-Reisfeld, 2001, 103). ولم تكن تلك هي المشاركة الوحيدة للنساء في المعارك القتالية، بل تشير عدد من الروايات إلى مشاركتهن في كثير من الأحداث العسكرية، ومن تلك الروايات ما نقله (Walter, 1946, 362) من قتال المرأة إلى جانب الرجل قبل احتلال القدس عام (١٠٩٩م –٤٩٣هـ)، فقد ذكر أن النساء –وبغض الطرف عن ضعفهن الطبيعي– قد قاتلن بكل شجاعة في المعركة. كما ساعدت النساء فرق الرماة؛ إذ كن يحملن السهام مثلهم ويطلقنها على أعدائهم من المسلمين (Gabrieli, 1969, 218).

وتذكر بعض الروايات التاريخية أن بعض النساء تولين مواقع قيادية في الجيش، ومنها ما رواه كل من (Caspi-Reisfeld, 2001, 105; Nicholson, 2001, 337) مشاركة النبيلات من النساء في تلك الحملات الصليبية؛ إذ كانت هذه الفئة تقود وحدات خاصة من الذكور للمساهمة في رفع فرص الجيش الصليبي بالانتصار. حجم هذه الفئة القيادية لم يكن كبيرًا، وتذكر الروايات أنهن تلقين تدريبًا خاصًا وحقيقيًا في فنون حمل السيف واتقان استعمال المعدات القتالية مما أهلهن لقيادة أحداث عسكرية مهمة (Caspi-Reisfeld, 2001, 104). وزيادة على ما سبق، فقد شاركت العديد من الأميرات بحاشيتهن من النساء في القتال (Kelly, 1991, 29). وهو ما يشير إلى أن تلك الحملات أخذت طابعًا اجتماعيًا وسياسيًا موسعًا.

وإن كانت مشاركة النساء في النشاطات الحربية "الأكثر شراسة" مثل الاجتياحات والهجوم المباشر أقل من غيرها، فقد كانت النساء تحمي المناطق الخلفية التي يجمع فيها الجنود غنائمهم. وفي المحن الشديدة

حين ينهمك الرجال في الإعداد لاجتياحاتهم، كانت المرأة تقف إلى جانب الرجل في ساحة المعركة (Caspi-Reisfeld, 2001, 105).

وفي أعقاب المعارك، كان يُسمح للنساء بالانتقام من المسلمين، فقد شاركت العديد من النساء في نهب جثث المسلمين بعد المعارك (Schmidt, 1986, 482). بل وعمل ما هو أبشع من ذلك، فبعد إحدى الحروب البحرية وبعد إعلان الانتصار رسميًا في (١١٩٠م- ٥٨٦هـ) التقى المسيحيون بالمسلمين على الشاطئ، يذكر (Nicolle, 2004, 250; Schmidt, 1986, 89) بأن المرأة المسيحية جرّت الأتراك من شعرهم وعاملتهم بقسوة وإذلال وذبحتهم وقطعت رؤوسهم، وقد استعملتْ المرأة السكين بدل السيف، مما ساهم في إطالة مدة الألم. هذه الرواية توضح لنا إلى أي مدى كانت عليه قسوة الصليبيين حيث لم تقتصر هذه القسوة والرغبة في الانتقام البشع على الرجال، بل تعدى ذلك إلى النساء حيث استعملن السكاكين للتخلص من الأسرى المسلمين بأقسى درجات الإذلال والمعاناة.

وبما أن النساء ارتدين زي الجنود واعتلين الخيول ورمين الرماح وقاتلن في المعارك، فإنه من المؤكد أن بعضهن فقدن حياتهن في أثناء القتال (Caspi-Reisfeld, 2001, 105)، ولم يتم ذكر هؤلاء النساء بالاسم، ولكن حديث المؤرخين عن قتل هؤلاء النساء في المعارك يعطي دليلًا قويًا على أن ذلك لم يكن من باب المصادفة أو الحادثة، بل إن النساء قاتلن في صفوف الجنود وحملن السيوف معهم في معاركهم. لهذا كله استخلص (Caspi-Reisfeld, 2001, 106) أن مشاركة النساء في الحملات الصليبية أكبر وأكثر شمولًا مما ذُكِر في كتب التاريخ القديمة، وأنه مهما حاول المؤرخون تهميش تلك المشاركة إلا أنها بدت واضحة جلية للمتمعن بكتب التاريخ.

الدور الدفاعي العسكري و السلمي: أما النوع الثاني للمرأة الصليبية فهو دور دفاعي بالسلم عن طريق التقاضي بالمحاكم او بالدفاع العسكري وحماية الممتلكات وذلك في أثناء غياب أفراد الأسرة الذكور للمشاركة في الحروب الصليبية (Maier, 2004, 80). وتمثل هذا الدور في بقائهن بأوطانهن والدفاع عنها في ظل غياب الرجال للمشاركة في الحملات الصليبية، كدفاعهن عن قصورهن وحماية بلادهن، بل حتى الاستمرار في حروبهن على البلاد المجاورة والاستيلاء عليها، وقد ذكر (Riley-Smith, 1998, 137) أنه بمجرد تحرك الحملة الصليبية للمشرق، تتولى النساء زمام إدارة وحماية ممتلكات الممالك التي ينتمين إليها. ولعل هذا الدور من أكثر الأدوار المساندة أهمية، فاطمئنان الرجل أن ثروته وممتلكاته بحماية زوجته القادرة فعلًا على حفظها ومنع الضرر عنها لهو من أهم أسباب ذهاب الرجال ومشاركتهم في الحملات الصليبية

والبقاء لمدة طويلة تمتد للأشهر خارج الوطن. وعلى الرغم من الامتيازات القانونية والحماية التي منحتها الكنيسة لأسر وممتلكات الصليبيين (Brundage,1983, 160)، غير أنه كان هناك حالات يجب فيها إدارة الممتلكات بكفاءة والدفاع عنها في المحاكم إذا لزم الأمر. وتُظهر السجلات القانونية الإنجليزية للقرن الثالث عشر اضطرار المرأة للدفاع عن ممتلكات زوجها الصليبي عن طريق التقاضي (Tyerman, 1996, 208).

لقد كان على المرأة الأرستقراطية من طبقة النبلاء إلى جانب إدارتها عقارات ومزارع الأسرة، تولي منصب زوجها أو قريبها السياسي طيلة مدة الحملة الصليبية. فقد برزت عن غيرها بمساهمتها في صنع القرار السياسي الخاص بإعلان الحرب من عدمه وهناك أمثلة عديدة في هذا السياق منها والدة الملك الفرنسي لويس التاسع[٤] التي تولت رئاسة الحكومة في غياب ابنها (Jordan, 2015, 105).كما مثلت ملِكات القدس النساء اللواتي شاركن بصنع القرار الدبلوماسي أو الحربي في الحملات الصليبية؛ إذ حكمت الملكة ميليسندا[٥]، وهي زوجة حاكم القدس التي كانت تعد قائدة قوية في القدس، غير أنها كانت مقيدة بعدم القدرة على فرض أوامر عسكرية على جيشها لمحاربة قوات الدول الإسلامية التي تحيط بالقدس. وقد أصبحت هذه الملكة تمثل الحاكمة الوحيدة لمملكتها حين سُجن زوجها ملك القدس (Mayer, 1972, 26). ولخوف هذه الملكة على زوجها وأبنائها من أن يُقتلوا في السجن، قررت تسليم مفاتيح المدينة لصلاح الدين مقابل السماح لها ولشعبها بترك المدينة بأمان والسفر إلى طرابلس (Caspi-Reisfeld, 2001, 107). ولا شك أن هذا من القرارات المهمة جدًا في تاريخ الحروب الصليبية، هذا القرار التاريخي والمصيري اتخذ من قبل امرأة.

وخارج الأراضي المقدسة، أعطت التقاليد في أوروبا بعض النساء حقًا رسميًا للتأثير في المعارك؛ فمثلًا كانت الأميرات النبيلات يرسلن فرقًا عسكرية لمساعدة أزواجهن في حملاتهم العسكرية، وفي أثناء الحملة الصليبية الثانية، استدعت زوجة ملك فرنسا

---

(٤) Blanche of Castille بلانش القشتالية والدها ملك قشتالة وهي زوجة لويس الثامن ملك فرنسا، أصبحت وصية على حكم ابنها لويس التاسع مرتين لصغر سنه، كما تولت الحكم نيابة عنه خلال حملاته الصليبية على الشام ومصر، ولدت في اسبانيا عام (١١٨٨م) وتوفيت في فرنسا عام (١٢٥٢م). (Joinville, 1938).

(٥) ولدت عام(١١٠٥ م)و هي البنت الكبرى للملك بلدوين الثاني ملك القدس ، حكمت القدس من عام (١١٣١ إلى ١١٥٢ م – ٥٢٥ إلى ٥٤٦هـ) كما أصبحت وصية على عرش ابنها من عام (١١٥٣م) حتى سنة وفاتها عام(١١٦١م) وكان لها مراسلات مع بابا روما لإطلاق الحملة الصليبية الثانية . .(Mayer, H. 1972)

لويس السابع أتباعها للقتال إلى جانب القوات الفرنسية (Traux, 1999, 116)، كما لعبت دورًا محوريًا في كل البلاد التي زارتها، وقد كانت السبب وراء نشاط القوات العسكرية الفرنسية في الشام في الحملة الصليبية الثانية (Kelly, 1991, 34).

وحين كان لويس التاسع في السجن في مصر، طلبت زوجته[٦] السلام في دمياط عام (١٢٥٠م-٦٤٧هـ مقابل خروج القوات المسيحية من مصر، وقد تولت أمر الترتيب لخروجه وإخلاء القوات المسيحية من مصر حال وصول القوارب (Joinville, Villehardouin, & Shaw, 2009, 251).

كما قامت مجموعة نساء نبيلات من جنوب فرنسا - ممن لم يرافقن أزواجهن في الحملات العسكرية – في الدفاع عن قصورهن وحتى الهجوم على أعدائهن عندما يتطلب الأمر ذلك (McLaughlin, 1990, 198). ومن تلك النسوة نيكولا دي لا هاي[٧]، شريفة لينكولن، التي قادت الحروب بحكم منصبها في دولتها، بل وهناك من النساء من فاقت شهرتها الرجال مثل ماتيلدا دي بروس[٨] التي لقبت في كتب المؤرخين بـالمرأة الجميلة الحكيمة الشجاعة القوية، حتى أن ذكرها فاق ذكر زوجها عند الشعب، فكانت هي المسؤولة عن مواصلة الحرب ضد الأقاليم القريبة من بلادها كإقليم ويلز، واحتلال الكثير من أراضيهم في أثناء غياب زوجها في حملاته الصليبية (Ashley, 1998, 548). والأمر نفسه تكرر في مواطن أخرى في أوربا، منها على سبيل المثال ما ذكره - كما تحدث - أحد المؤرخين عن إحدى الأميرات في منطقة "إفرو" الفرنسية التي حملت السلاح وقاتلت كالفرسان للدفاع عن مدينتها (Contamine, 1986, 241). ولم تكن حماية الأوطان حصرًا على المتزوجات فنجد بعضًا من الأرامل اللواتي اضطررن لدخول ساحة المعركة لحماية أراضيهن، وهناك العديد ممن عُرفن بانتصاراتهن العديدة على أعدائهن و دافعن عن أوطانهن (Nicholson, 2001, 199).

---

(٦) Marguerite de Provence هي مرجريت ابنة حاكم مدينة بروفانس الفرنسية . تزوجها بناء على رغبة والدته الملكة بلانش ، وقد رافقته في حملاته على الشام ومصر ، تزوج منها لويس التاسع عام ١٢٣٤م.يوسف.جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية ، ١٩٨٩م، ص٥٠-٥١. (Kitchin, 2012)

(٧) نيكولا دي لا هاي (Nicholaa de la Haye) سيدة ذات نفوذ واسع في القصر الملكي الفرنسي عاشت في الفترة ما بين= = (١١٥٦ إلى ١٢٣٠م) استمر نفوذها لمدة طويلة بلغت الثلاثين عاماً، وتنحدر من سلالة نبيلة خدمت البلاط الملكي لعقود طويلة (Sanders, 1960, p. 109).

(٨) ماتيلدا دي Bruce Matilda (Maud) De . أميرة اسكتلندية والدها حاكم اسكوتلندا وامها ايرلندية ، ولدت عام (١٣١٠م) وتوفيت عام (١٣٥٣م) عن (٤٣ عاما). (Barrow, 1998, pp. 88-91),

ولم تكن الطبقة النبيلة هي فقط من تشارك في الدفاع العسكري في حال غياب الرجل فكانت النساء من جميع الطبقات يشاركن في الدفاع عن أوطانهن وممتلكاتهن، حيث حملن الدروع والرماح ليدافعن عن أنفسهن حين تحاصر قوات الأعداء مدنهن، ولعل أوضح مثال على ذلك ما قامت به نساء تشيكيات عندما قاتلن مثل الجنود الرجال ودافعن عن مدنهن حين كان الرجال في طريقهم للحملات العسكرية (Muntaner, 2000, 311).

أبرز النتائج:

١- تحيز المؤرخون الغربيون في العصور الوسطى لمساهمة الرجال في الجانب العسكري في الحملات الصليبية في المقام الأول، وربط المرأة بمسؤولية الاهتمام بالجبهة الداخلية. في حين حاول الباحثون والمؤرخون الغربيون في العصر الحديث تسليط الضوء على مساهمات المرأة الصليبية المتعددة والمتنوعة بتتبع الروايات التي تناولت المرأة واستشفاف الدور الذي كانت تقوم به بشكل أكثر استقلالًا من تفسيرات المؤرخين الصليبيين السلبية.

٢- مساهمات المرأة في الحملات الصليبية كانت كثيرة ومتعددة الأوجه، وأن الحملات الصليبية قامت على جهود ومشاركات كلا الجنسين؛ ليس فقط لأن بعض النساء شاركن في العمليات العسكرية بل لأن مشاركتهن في الجبهة الداخلية أدت دورًا كبيرًا في بعث هذه الحملات وتحقيق بعض الانتصارات والإنجازات.

٣- يبدو أن الدافع الأبرز لمشاركة المرأة في تلك الحملات دافعاً دينياً ولاسيما في الحملة الأولى، وقد اتضح ذلك من حجم المشاركة النسائية الشعبية فيها، واستمداد هذه المشاركة من فتاوى كنسية.

٤- تدرجت مشاركة المرأة في تلك الحروب من المشاركات المحورية المؤثرة تأثيرًا مباشرًا مثل المساهمة في تمويل تلك الحملات وتشجيع وتجييش الرجال للمشاركة فيها، واتخاذ قرارات حاسمة مقابل الاستسلام أو الانسحاب، مرورًا بقيادة بعض الفيالق والتحركات العسكرية والمشاركة القتالية المباشرة، وانتهاء بتقديم الخدمات المساندة مثل الطهو والتنظيف والغسيل وتضميد الجراح والمؤانسة.

٥- تنوعت مشاركة المرأة في هذه الحروب والحملات العسكرية من حيث طبيعة المشاركة؛ معنوية، وعسكرية، ودينية، واجتماعية ومن حيث طبيعة المشاركات؛ من ملكات، وأميرات، وطبقات استقراطية نبيلة، إلى عامة الشعب من النساء. وهذا التنوع كان له أثره البالغ في إبراز دورها غير المباشر في تحقيق بعض الانتصارات وكذا التسبب في بعض الخسائر.

٦- تناقضت أدوار المرأة بين أدوار دينية تستمد دوافع مشاركتها من مباركة الكنيسة وخدمة الرب،

وتسمي مشاركتها بأنها "حج"، وبين أدوار وضيعة تناقض مبادئ الرقي الأخلاقي والسمو الروحي مثل مشاركة المومسات وامتهان الدعارة في تلك الحملات.

٧- يبدو أن كثيرًا من تلك الحملات الصليبية أخذت طابعًا اجتماعيًا عامًا، تشكل هذا الطابع الاجتماعي بمشاركة النساء فيها وما يترتب على مشاركتهن، أخذهن لأطفالهن وأقاربهن معًا. وبذلك أصبحت المشاركة تحرك أسري متكامل يشارك فيها أفراد الأسرة الواحدة جميعهم وأقاربهم وأصدقائهم.

قائمة المراجع العربية

عبد الحميد، رأفت، *قضايا من تاريخ الحروب الصليبية*، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، (١٩٩٨م).

قاسم، عبده قاسم، *حضارة أوروبا العصور الوسطى* ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، (١٩٩٤م).

قاسم، عبده قاسم، *الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية*، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، (٢٠٠١م).

نقلي، آسيا سليمان ، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية* ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ).

Ashley, M. *The Mammoth Book of British Kings & Oueens*. New York: Carroll and Graf Publishers, 1998.

Barrow, G. W. S. (1998), *Robert Bruce & the Community of the Realm of Scotland*, Edinburgh: Edinburgh University Press.

Brundage, J. A. *"Prostitution, Miscegenation and Sexual Purity in the First Crusade"*. In Edbury P., (ed.), *Crusade and Settlement*: Papers Read at the First Conference of the Society for the Study of the Crusades and the Latin East. Cardiff: University College Cardiff Press. (1985), 57-65.

Brundage, J. A. "*The Crusader's Wife Revisited"*. *Studia Gratiana*, vol. 14, (1967). 241-252.

Brundage, J. Canon Law as an Instrument for Ecclesial Reform: A Historic Perspective. A Major Address presented at the 45th Annual Meeting in San Francisco, California, October 10-13, Printed in the CLSA Proceedings, (1983), 1-17.

Caspi-Reisfeld, K. *"Women Warriors During the Crusades". In: Edgington, S. & Lambert,* S. (*eds*.), *Gendering the Crusades*. New York: Columbia University Press. (2001), 94-107.

Cole, P. *The Preaching of the Crusades to the HolyLand,* UK: Cambridge. 1991

Contamine, P. War in the middle ages. US: Blackwell Publisher. 1986

Evans, M. R. *"Unfit to Bear Arms: The Gendering of Arms and Armor in Accounts of Women on Crusade"*. In Edgington, S. & Lambert, S., (eds.). *Gendering the Crusades.* New York: Columbia University Press. (2001), 45-58

Evans, M. *"Commutation of Crusade Vows: Some Examples from the English Midlands"*. In: Murray, A., (ed.), *From Clermont to Jerusalem: the Crusades and Crusader Societies, 1095-1500*: Selected Proceedings of the International Medieval Congress, University of Leeds, 10-13 July 1995. International Medieval Research (3). Turnhout: Brepols. (1998), 219-228

Finucane, R. *Soldiers of the Faith: Crusaders and Moslems at War* (*2ed*). London: Phoenix. 2004

Gabrieli, F. *Arab Historians of the Crusades*. United States: Berkeley, CA. 1969

Goitein, S. "Reviewed work: *A history of the Latin Kingdom of Jerusalem* by Joshua Prawer". *Speculum,* vol. 39, No. 4, (1964), 741-745.

1995. Murray International Medieval Research, (1998), 229 - 248.

McLaughlin, M. The woman warrior: Gender, warfare and society in medieval Europe. *Women's Studies.* 17, (1990), 193-209.

Muntaner, R. The Catalan Expedition to the East: from the Chronicle of Ramon Muntaner. (trans.) By Lady Goodenough. UK: Cambridge, 2000

Nicholson, H. Chronicle of the third crusade. England: Aldershot. 2001

Nicolle, D. Medieval Warfare Source Book: Warfare In Western Christendom. UK: Brockhampton Press. 2004

Oliver of Paderborn. *The Capture of Damietta*. (trans.) by John J. Gavigan. Philadelphia: University of Pennsylvania Press. 1948

Pernoud, R. *Alienor of Aquitaine*. (trans.) P. Wiles. New York: Cowrd-McCann. 1965

Peters, E. *The First Crusade.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press. 1971

Powell, J. "*The Role of Women in the Fifth Crusade*". In Benjamin Kedar (ed.). *The Horns of Hattin*, (1992), 294-301. London.

Purcell, M. "Women Crusaders: A Temporary Canonical Aberration". In L. O. Frapell (ed.). *Principalities, Powers and Estates: Studies in Medieval and Early Modern Government*. Adelaide: Adelaide University, Union Press, (1979), 57–67

Riley-Smith, J. The First Crusaders, 1095-1131. UK: Cambridge. 1998

Riley-Smith, J. What Were the Crusades? 3rd, London: Houndmills. 2002

Rousseau, C. "Home Front and Battlefield: The Gendering of Papal Crusading Policy (1095-1221)". In Susan B. Edgington and Sarah Lambert. (eds.), *Gendering the Crusades*, New York: Columbia University Press. (2002), 31-44.

Sanders, Ivor John (1960) English baronies: A study of their origin and descent, 1086-1327, Clarendon Press.

Schmidt. P. Peregrinatio Periculosa. Thomas von Froidmont über die Jerusalemfahrten seiner Schwester Margareta Kontinuität und Wandel. Lateinische Poesie von Naevius bis Baudelaire, Franco Munari zum 65. Geburtstag cur. Ulrich Justus Stache - Wolfgang Maaz - Fritz Wagner, Hildesheim, Weidmannsche Verlagsbuchhandlung, pp. XV-714, 461-85.

Higonnet M. R. & Higonnet, P. L. "The double helix." In Higonnet, M. R. et al (eds.), *Behind the lines, Gender and the two World Wars*. New Haven/London: Yale University Press (1987), 31–47.

Joinville, J. The History of Saint Louis. (Trans.) By J. Evans. New York: New York Press. 1938.

Joinville, J., Villehardouin, G. & Shaw, M. Chronicles of the Crusades. UK: Penguin Classics Press. 2009.

Jordan, W. (2015*). Louis IX and the Challenge of the Crusade: A Study in Rulership*. Princeton Legacy Library.

Kedar B. "The Passenger List of a Crusader Ship, 1250: Towards the History of the Popular Element on the Seventh Crusade". *Studi Medievali*, (1972), 13, 267–79.

Kelly, A. *Eleanor of Aquitaine and the Four Kings. Cambridge,* USA: Harvard University Press. 1991

Kitchin, G. *A History of France Volume 1*. Indiana, USA: Repressed Publishing LLC. 2012

Lambert, S. "Crusading or Spinning". In. S. Edgington and S. Lambert (eds.). *Gendering the Crusades*, (2001), 1-17. New York: Columbia University Press.

Libertini, C. "Practical Crusading: The Transformation of Crusading Practice, 1095–1221". In M. Balard. (ed. & trans), *Autour de la Première Croisade: Actes du Colloque de la Society for the Study of the Crusades and the Latin East (Clermont-Ferrand, 22–25 Juin 1995)*, Paris: Publications de la Sorbonne. (1995), 281-291

Maier, C. T. "The Roles of Women in the Crusade Movement". *Journal of Medieval History*, vol. 30, (2004), 61-82.

Maier, C. T. Preaching the Crusades. UK: Cambridge Press. 1994

Matthew, Donald (1992). The Norman Kingdom of Sicily. Cambridge University Press.

Mayer, H. "Studies in the History of Queen Melisense of Jerusalem". *Dumbarton Oaks Papers*, 23, (1972), 93-181.

Mazeika, R. "Nowhere was the Fragility of their Sex Apparent: Women Warriors in the Baltic Crusade Chronicles". In Alan V. (ed.), *Selected Proceedings of the International Medieval Congress,* University of Leeds, 10-13 July

Tyerman, C. *England and the crusades*, 1095-1588. New York: The University of Chicago Press. 1996

Vitalis, O. The Ecclesiastical History of Orderic Vital: Vol. 1. *General Introduction*. (trans.) By Marjorie Chibnall. UK: Clarendon Press. 1981

Walter, P. "The Clergy, the Poor, and the Non-Combatants on the First Crusade". *Speculum* vol. 21, N 1, (1946), 1-23.

Solterer, H. "Figures of Female Militancy in Medieval France". *Signs,* Vol. 16, No. 3 Spring, (1991), 522-549.

Traux, J. "Anglo-Norman women at war: Valiant soldires prudent strategies or charismatic leaders". In D. J. Kagay and L. J. A. Villalon (eds.), *The circle of war in the middle ages,* (1999), 111-25. Woodbirdge.

Tyerman C. Who Went on Crusades to the Holy Land. In B. Z. Kedar (ed.), The Horns of Hattin: Proceedings of Second Conference of the Society for the Study of the Crusades, Jerusalem and Haifa, 2-6 July 1987. (1992), 13-26.